

ولاية الحبش العثمانية بين إيالة جدة، والإدارة المصرية (١٢٣٤ - ١٣٠٣هـ) - (١٨١٨ - ١٨٨٥م)

د. شوقي عطاالله الجمل
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
بجامعة القاهرة

مقدمة: يتميز البحر الأحمر بين بحار العالم بموقعه الفريد، وهو عبارة عن حوض شريطي الشكل يفصل بين كتلتين من القشرة الأرضية هما شبه الجزيرة العربية، وشمال أفريقيا. وقد كان منذ أقدم عصور التاريخ شرياناً حيوياً مهماً للمواصلات بين قارات العالم القديم، كما لعب في العصر الحديث دوراً واضحاً في اتجاهات الدول الكبرى وسياساتها.

وتطل على البحر الأحمر عشر دول هي: اليمن، والمملكة العربية السعودية، والأردن، وفلسطين في آسيا - ومصر والسودان، وارتيريا، وأثيوبيا، وجيبوتي، والصومال في أفريقيا - أي من هذه الدول الآسيوية والأفريقية ثمان دول عربية^(١).

وطول الساحل الغربي للبحر الأحمر ٢٢٠٠ كم، أما الساحل الشرقي فيمتد من العقبة شمالاً إلى عدن جنوباً، ويُضاف إليه مكملة الساحل العربي للخليج حتى البصرة بالعراق. ^(٢)

وكان للعرب نشاط كبير في هذا البحر، وعن طريقه كانوا يتنقلون للجانب الأفريقي من هذا البحر ونشير بالذات إلى أن التجار اليمنيين والحجازيين كانت لهم علاقات تجارية مع الحبشة، وأدت هذه العلاقات إلى هجرة جماعات من عرب شبه الجزيرة العربية إلى السهول المحيطة بهضبة الحبشة، نذكر منهم على وجه الخصوص جماعة من قريش هاجروا إلى جبرت (أوفات) وسُموا بعد ذلك بالجبرتية، وقد قام هؤلاء بإنشاء أول دولة إسلامية في الحبشة، وأخذ نفوذهم يتسع حتى نجحوا في القرن الثامن الهجري في تأسيس سبع ممالك زاهرة سُميت (ممالك الطراز الإسلامي)، وقد تحدث عنهم كثيرون من المؤرخين المسلمين. ^(٣)

وقد احتكر العرب الملاحة في البحر الأحمر طوال العصور الوسطى وأوائل العصور الحديثة، وكانت سفنهم التجارية تخترقه حاملة بضائع الشرق التي تصل إلى السويس ومنها تُنقل براً - قبل شق قناة السويس - إلى مواني البحر المتوسط ومنها إلى أوروبا.

وأدى النشاط البحري للبرتغال منذ القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) إلى كشف طريق رأس الرجاء الصالح في أواخر هذا القرن، ووصولهم إلى سواحل أفريقية الشرقية ومهاجمتهم الإمارات العربية التي كانت قد قامت على الساحل الشرقي للقارة من زمن بعيد. ^(٤)

وبوصول البرتغال إلى شرق القارة، ودخولهم مياه المحيط الهندي حققوا هدفهم الأساس من الوصول إلى تجارة الشرق، وسقطت في أيديهم معظم الإمارات العربية على الساحل الأفريقي، وبعد ذلك اتجهوا لساحل الجزيرة العربية والخليج، فهاجموا مسقط، وهرمز، وعدن.

وبعد ذلك اتجه البرتغاليون إلى مياه البحر الأحمر واستولوا في عام (٩١٣هـ / ٥٠٧م) على جزيرة سوقطرة الواقعة بالقرب من الساحل الجنوبي للجزيرة العربية إلى الشرق من عدن، وذلك بهدف السيطرة على مدخل البحر الأحمر الجنوبي .

وقد تنبه المماليك لخطورة الانتشار البرتغالي في مياه المحيط الهندي واتجاههم للبحر الأحمر الذي يؤدي للأماكن المقدسة الإسلامية فاتجهوا إلى تدعيم وجودهم في سواحل البحر الأحمر خاصة في ثغر (جدة) لأهمية في حماية الأراضي المقدسة الإسلامية - ولتحقيق هذا الهدف أرسل السلطان الغوري حملة بحرية بقيادة الأمير حسين الكردي بهدف تحصين جدة وبناء سور ضخّم ذي أبراج عالية لحماية جدة من أى مُغير، كما أمر الكردي بعمل تحصينات مماثلة فى موانئ البحر الأحمر خاصة الثغور اليمينية ترقباً لأى محاولات من البرتغال لتهديد البلاد الإسلامية - خاصة أن البرتغال لم يُخفوا أن أهدافهم لا تقتصر على الأهداف الاقتصادية بل إن الدوافع الدينية وراء تحركاتهم ونشاطهم البحري والحربي، كما اتجه المماليك أيضاً إلى بناء قوة بحرية فى ميناء السويس تكون على أهبة الإستعداد لمراجعة أى خطر من وراء تحركات البرتغال في المحيط الهندي وباتجاه البحر الأحمر . (٥)

لكن كانت موقعة ديو البحرية فى عام (٩١٥ هـ / ١٥٠٩م) فاصلة القول في انتقال السيادة البحرية في المحيط الهندي والطرق المؤدية إليه لهذه القوة البحرية الجديدة بعد إنهزام الأسطول المملوكي وتحطمه، ووصلت الحال إلى أنهم حرموا على العرب القيام بأي نشاط بحري تجاري في هذه المياه التي كانت منذ قرون عدة بحاراً عربية لا يكاد ينافس التجار العرب فيها منازع .

وقد تأثرت هيبة المماليك السياسية نتيجة هزيمتهم الساحقة على يد البرتغال، وانتهت دولة المماليك في الشام ومصر والحجاز - إذ سقطت الشام في يد السلطان سليم العثماني في عام (٩٢٢هـ / ١٥١٦م) وتبعته مصر في عام (٩٢٣هـ /

١٥١٧م) وسلم الحجاز مسلماً، إذ أرسل شريف مكة الشريف بركات ابنه محمد الأئى للسلطان سليم بالقاهرة يحمل إليه مفاتيح الكعبة ويعلن الدخول فى طاعته، وقبل السلطان سليم ولاءه وثبته على إمارته.^(٦)

وأدركت الدولة العثمانية أهمية البحر الأحمر، وأن الحاجة ماسة لتأمين الملاحة فيه ومراقبة حركات السفن البرتغالية وغيرها من السفن الأوربية التي بدأت تمخر عُباب هذا البحر بعد كشف طريق رأس الرجاء الصالح.

ولذلك أنشأوا (ولاية الحبش العثمانية) موضوع هذا الحديث. وقد لعبت هذه الولاية دوراً مهماً فى مراقبة حركة الملاحة فى البحر الأحمر، وقد انتقلت السيادة على هذه الولاية بين مصر وجده كما سنوضح بعد.

أولاً: نشأة ولاية الحبش العثمانية:

نظراً للأهمية الاستراتيجية لميناء جدة فقد جعلها العثمانيون فى البداية نيابة تابعة لهم مباشرة يُعينون لها نائباً من طرفهم.

كذلك أدرك العثمانيون أهمية عدن كخط الدفاع الأول عن الحرمين الشريفين ولذلك اهتموا ببسط سلطانهم عليها، وقد تكبد العثمانيون الكثير فى سبيل ذلك بسبب بُعد اليمن عن مركز الدولة بالإضافة إلى وعورة أرضها، فكان سكانها دائمي الثورة والخروج عن طاعة الدولة.^(٧)

ولما كانت من الدوافع الرئيسية لنشاط البرتغال الكشفي والإستعماري الوصول إلى مملكة الحبشة المسيحية مملكة القديس يوحنا (Prester John) والتفاهم معها للقيام بحركة كماشة لتطويق العالم الاسلامي - وهو مايعتبره بعض المؤرخين امتداداً للحركة الصليبية - فقد كان وصول البرتغال لشرق القارة فرصة لتحقيق هذه الأهداف الدينية الاستعمارية.^(٨)

وقد صُدم البرتغاليون حين اكتشفوا أن الأحباش يرتبطون بالكنيسة الأرثوذكسية المصرية - ورغم ذلك فإن البرتغال وجهت بعض جهودها فى هذا

المجال لتحويل الدولة الأفريقية المسيحية الوحيدة في ذلك الوقت (الحبشة) إلى المذهب الكاثوليكي معتمدة على ما أصبح لها من نفوذ بسبب سيطرتها على التجارة بين الهند والحبشة - لكن كان من الصعب تحقيق هذا الهدف، لأن الارتباط بين الكنيستين المصرية والحبشة يرجع إلى قرون عدة مضت بل تمتد جذوره إلى بداية دخول المسيحية إلى الحبشة.^(٩)

ومع كل هذا اضطرت القوتان (الحبشة والبرتغال) لتوجيه جهودهما للوقوف في وجه القوة الإسلامية والتي تمثل فصل من فصولها في محاولات البطل الصومالي أحمد بن إبراهيم الذي اشتهر باسم جرای (القرين) للزحف صوب الحبشة تؤيده قوة الأتراك العثمانيين وعرب شبه الجزيرة العربية - وأمدت البرتغال الحبشة بقوة على رأسها أحد أبناء (فسكوداجاما) المكتشف الشهير، وقد منيت القوات البرتغالية بخسائر فادحة وقتل قائدها، لكن لم تستطع القوات الإسلامية من جانبها أن تحقق نصراً حاسماً على الحبشة.^(١٠)

على أن البعثات الدينية البرتغالية بقيت تمارس نشاطها في الحبشة والمناطق المحيطة بها أكثر من قرن من الزمان - حتى عام (١٠٤٣هـ - ١٦٣٣م) وإن كانت قد فشلت في مهمتها الدينية بسبب ما أحاط بها من شكوك - وبسبب نفور الأحباش أنفسهم من المحاولات المبذولة لتحويلهم عن المذهب الذي اعتنقه آبائهم وأجدادهم، وعن التقاليد والعادات الدينية التي توارثوها لكن يُذكر لهذه البعثات نشاطها العلمي الذي تمثل في نشر الكثير من المعلومات عن جبال الحبشة وبحيراتها وأنهارها.

وولاية الحبش العثمانية تمتد على الساحل بين سواكن ومصوع - ومقدار امتداد سلطانها للداخل يتوقف على أحوال كثيرة، بالطبع لم تمتد لبلاد الحبشة لكن التسمية ترجع لأن هذه البلاد هي مخارج الحبشة، والمهمة الرئيسية لنائب سواكن ومصوع - هي مراقبة تحركات الأحباش وإخطار الدولة بهذه التحركات لإتخاذ

الإجراءات اللازمة في الوقت المناسب لمواجهة هذه التحركات وإحباطها - فهي بمثابة (الرباط) أو المدن والقلاع الحدودية التي تُراقب تحركات الأعداء قبل أن يصلوا إلى حدود البلاد الإسلامية، هذا ويحكم البعد وضالة الموارد، وبحكم أن الحماية العثمانية التي هبطت تلك البلاد اختلطت بالسكان ولم تُجدد، فالسلطة العثمانية فيها كانت تستلزم - حينما يضعف أمرها - إلى أن تُرسل حملة لإرجاع الأوضاع وفق ماكانت عليه.^(١١)

ويرجع الفضل في تأسيس ولاية الحبش الإسلامية إلى (إزدمر باشا) الذي ولى شئون اليمن في الفترة من (٩٥٦ إلى ٩٦٢هـ / ١٥٤٩ - ١٥٥٥م) فكانت فترة ولايته لليمن لإدراك أهمية وجود قوة عثمانية على الثغور الأفريقية المطلّة على البحر الأحمر لتراقب حركة الملاحة في هذا البحر ونشاط البرتغال وحلفائهم الأحباش فيه - فنصح السلطان سليمان القانوني بالعمل على تدعيم النفوذ العثماني على ساحل البحر الأحمر.

فتم إعداد جيش في مصر نجح في الاستيلاء على سواكن وبعض الأقاليم المحيطة بها فكانت نواة لولاية الحبش العثمانية وأصبح إزدمر باشا أول وال لها تولى أمرها (٩٦٢هـ - ٩٦٧هـ / ١٥٥٥ - ١٥٥٩م) وخلفه في الولاية ابنه عثمان.^(١٢)

وبعد أن وطد العثمانيون أقدامهم في ثغري سواكن ومصوع - أنشأوا فيها ولاية أطلقوا عليها اسم (ولاية الحبش)، وربط العثمانيون بين هذه الولاية وثغر جدة ووحدها إدارتها وأصبحت مهمتها مراقبة حركة الملاحة في البحر الأحمر.

ونشير إلى أن سواكن ارتبطت منذ زمن بعيد بشبه الجزيرة العربية، فمنها يبحر الحجاج الأفارقة إلى بلاد العرب سواء القادمون من مصر أو شمال أفريقيا أو غربها، ومنها تصدر إلى بلاد العرب المنتجات الأفريقية، ومنها ترد البضائع الواردة من الهند أو من غيرها من أقاليم الشرق.

وجنوب سواكن بمسافة صغيرة يقع ثغر مصوع وهو على جزيرة قريبة من الساحل، وهى مواجهة للشغور لليمنية المشهورة، ومصوع مخرج البحر الأحمر الطبيعي إلى كل الأقاليم الشمالية في الحبشة.

وبين مصوع ووادي النيل إقليم (بوغوص) وهو إقليم متوسط الارتفاع خصب، جيد المناخ له أهمية اقتصادية وسكانيه خليط من أجناس متعددة وعدد كبير منهم يدين بالإسلام.

وقد حاولت الدولة العثمانية أن تمنع دخول السفن الأجنبية في مياه البحر الأحمر بحجة الأماكن الإسلامية المقدسة التي يؤدي إليها هذا البحر - فألزموا السفن الأوروبية بأن تُفرغ حمولتها في موانئ اليمن الجنوبية وبعد ذلك تنقلها سفن إسلامية عبر البحر الأحمر إلى وجهتها سواء أكانت السويس أو غيرها من موانئ هذا البحر - لكن هذه السياسة - سياسة تضيق الحركة التجارية في البحر الأحمر لم يكن الاستمرار فيها، فمنذ أواخر القرن الثامن عشر بدأت الحركة تدب من جديد وذلك يرجع لعاملين:

العامل الأول:

عامل أوربي يتمثل في الاهتمام بإحياء تلك الطرق، فقد زاد اهتمام الأوروبيين بطريق البحر الأحمر، وحاولوا الاتفاق مع السلطات المحلية في مصر، كما قامت محاولات للاتفاق مع السلطات المحلية أيضاً لتفتح طريق الخليج المؤدي للفرات وتنظيمه، ولم تقتصر المحاولات على دولة واحدة بل اهتمت بها دول عديدة في مقدمتها إنجلترا، وفرنسا، وهولندا، والنمسا، وترتب على هذه الاتفاقات مع السلطات المحلية تعقيدات ومشاكل دبلوماسية.

المهم أن سياسة تقييد الملاحة في هذه المرافق العالمية لم يكن في الإمكان استمرارها، وحين نزل بونايرت في مصر حاول أن ينشئ علاقات مع سلطات في الهند وفي شبه الجزيرة العربية، فكتب رسائل لشريف مكة ولبعض زعماء الهند.

وحين تحالف الإنجليز مع العثمانيين لإخراج الفرنسيين من مصر - استخدموا البحر الأحمر - فوصلت مراكبهم من الهند حتى السويس وجاءوا بجيش من الهند نزل في القصير ومنها لقنا والقاهرة، وبالطبع ترتب على هذا الربط بين مصر والهند.

وفي السنوات الأولى من حكم محمد علي لمصر ظهر واضحاً أن حالة الركود التي كان عليها البحر الأحمر والبلاد المطلة عليه سواء الآسيوية أو الإفريقية - قد تغيرت رأساً على عقب، ومما يدل على ذلك أن أول عمل سياسي عمله محمد علي سنة (١٢٢٤هـ / ١٨٠٩م) كان دخوله مع حاكم الهند العام في مكاتبات لإقامة علاقات سياسية - كذلك كان اتصال محمد علي بالشخصيات البارزة في الجزيرة العربية مستمراً.

العامل الثاني:

الذي قضى على سياسة الركود التي أرادت الدولة العثمانية فرضها على هذه الجهات - عامل عربي داخلي هو النشاط في شبه جزيرة العرب وقيام حركات مناهضة للدولة العثمانية - فكلفت الدولة باشوية بغداد، ثم باشوية دمشق، ثم باشوية مصر بإخضاع هذه الحركات.

والحقيقة إن محمد علي على الرغم من في حملاته في هذه البلاد - والتي إستغرقت مايقرب من عشر سنوات - كان مُنفذاً لسياسة عثمانية - لكن النتائج كانت أهم من ذلك بكثير - فقد أُحيلت مناطق البحر الأحمر وولاية الحبش العثمانية إلى والي مصر كما سنوضح بعد.

حدث ذلك في وقت كانت الحركة قد بدأت تدب من جديد في البحر الأحمر وأخذت أنظار الدول الأوروبية تتجه إليه أكثر، وستشهد السنوات التالية لحكم محمد علي بمصر - خاصة فترة حكم إسماعيل نشاطاً مضاعفاً في هذه المناطق. (١٣)

على أن الدولة العثمانية كانت تُشرف على الملاحة في البحر الأحمر والبحار المؤدية إليه عن طريق أربع قواعد مهمة هي :

أ- مصر: فمنها (من ميناء السويس بالتحديد) كانت تخرج الحملات التي كانت تضطر السلطنة لإرسالها لضبط الأمور في الحجاز أو غيرها من بلاد شبه الجزيرة العربية، ومنها أيضاً كانت تُراقب حركات الأوربيين في البحر الأحمر.

ب - ولاية الحبش: فمن جدة وما اتصل بها من نفوذ عثماني يمتد للساحل المواجه تُراقب حركة الأحباش والقوى الأوربية التي تساندتهم، كما تراقب أيضاً حركة السفن في البحر الأحمر.

ج - باشوية دمشق: مركزها مائل للقاهرة فمنها تخرج حملات لضبط الأمن لكن ليس بحجم القيمة السياسية والاستراتيجية التي كانت لمصر.

د- بغداد: وهي تلعب دوراً لا يقل عن دور القاهرة - في نطاق الخليج العربي وطريق الفرات إلى حلب والبحر المتوسط، ثم هي النافذة العثمانية التي يطل منها العثمانيون على بلاد فارس وما بعدها، وقد زادت أهميتها بعد أن توطدت أقدام الإنجليز في الهند وأصبحوا يطمعون في التقدم صوب إيران.

وقد زار الرحالة بوركهارت سواكن في عام ١٨١٤م ومنها عبر البحر الأحمر إلى جدة، وقد تحدث عن إمارة الحبش العثمانية فذكر إنه لاحظ أن بسواكن سلطتين، سلطة محلية حضرية وسلطة عثمانية تتمثل في نائب السلطنة هناك - وأن الأهمية تتركز في من يُمسك بإيراد الجمارك هناك، ومقدار قوة نائب السلطان أو ضعفه تقاس بقدرته ونفوذه على الميناء. (١٤)

هذا ونُشير إلى أن السلطنة العثمانية شُغلت بمشاكلها الكثيرة في أواسط أوروبا وفيما يقابل البحر الأسود، وموضع احتكاكها مع الدولة الصفوية في أذربيجان مما جعلها تتراخى إلى حد كبير عن تدعيم قواتها في ولاية الحبش وغيرها من المناطق

التي كانت مسئولة عن حماية الطرق المؤدية للبحر الأحمر، وذلك في وقت كانت الدول الإستعمارية قد أخذت تعمل لتدعيم نفوذها في هذه الشرايين الملاحية المهمة.

ثانياً: مصر تسعى لوضع ولاية الحبش العثمانية تحت سلطانها:

كان طبيعياً أن تهتم مصر بالبحر الأحمر والملاحة فيه، فلاشك في أن مصر لم تنس الدور الرئيسي الذي كان يلعبه البحر الأحمر كشريان ملاحى قبل أن يكتشف البرتغاليون طريق رأس الرجاء الصالح ويحولوا الملاحة إليه، وكان هذا سبباً كافياً لتدهور دولة المماليك في مصر ثم سقوطها، فقد كانت التجارة المارة بهذا البحر مصدراً رئيسياً لدعم الحياة الاقتصادية والعسكرية لهذه الدولة.

فلما دب النشاط من جديد في هذا البحر، واتجهت إليه الأنظار، وبدأت الدول والشركات الأجنبية تسعى لوضع أيديها على نقط مهمة في هذا الطريق البحرى - كان طبيعياً أن تسعى مصر لتسبق الدول الأوربية في هذا المجال.^(١٥)

وفي عام (١٢٣٢هـ / ١٨١٦م) لما كُلف محمد علي والي مصر من قبل الدول العثمانية بالقيام بحملاته في بلاد العرب ألحقت (ولاية الحبش العثمانية) بالإدارة المصرية لكن في سنة (١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م) بعد التسوية المعروفة بين مصر والدولة العثمانية - رجعت الأوضاع فيما يتعلق بهذه الولاية إلى ماكانت عليه من قبل. وفي ١٩ رمضان ١٢٦٢هـ / ١٢ سبتمبر ١٨٤٦م أُحيلت إدارة جمركى مصوع وسواكن إلى محمد علي - فأحال أمر إدارتهما إلى مديرية التاكة، حقاً لم تنقل السيادة على هذه الجهات إلى مصر كاملة - إنما أعطيت مصر حق إدارة الجمرك - لكن إدارة الجمرك في مثل هذه الموانى كانت هى كل شئ تقريباً، لأن التحكم في الجمرك يجمع في يديه السلطة المادية والحربية التي تتحكم في الميناء والمنطقة المحيطة به، وهكذا عاد التنظيم المصري والإدارة المصرية إلى هذه الجهات.^(١٦)

وفي عهد عباس أُعيدت إدارة المينائين في عام ١٢٦٥هـ / ١٨٤٩م لإيالة جدة فعادت الأمور لما كانت عليه قبل الإدارة المصرية.^(١٧)

على أنني أشير إلى أن دخول هذه الجهات في حوزة الإدارة المصرية كان كفيلاً بوضع حد لتدخل الأجانب في شئوننا بعكس الوضع في حالة عودتها إلى الإدارة العثمانية الصرفة - ويرجع ذلك إلى أن السلطة بهذه الجهات كانت توضع في يد نائب السلطان العثماني وكانت تسانده حامية عثمانية - لكن كان الأمر ينتهي بأن الحامية العثمانية كانت تندمج في الحياة العامة للسكان وتنسى مهمتها الأساسية وتضعف هيبتها مما يُطمع الطامعين في هذه الجهات.^(١٨)

فالحقيقة إنه في الوقت الذي أخذت فيه الدول الإستعمارية تعمل لتقوية نفوذها في هذه الجهات فإن الدولة العثمانية شُغلت بمشكلاتها مع الدول المجاورة بالإضافة إلى مشاكلها الداخلية، وأدى هذا لتعرض هذه المناطق المهمة سواء على الساحل الأفريقي أو الآسيوي للأطماع الأوربية بالإضافة إلى هجمات الأبحاش الذين كانوا كثيراً ما يهاجمون مصوع وسواكن ويحاولون قطع المياه عن حاميتيها. فإذا وجدوا أن هذه الجهات من المناعة بحيث يتعذر عليهم الاستيلاء عليها نهبوا ما امتدت إليه أيديهم وأحرقوا الأكواخ المصنوعة من القش وولوا هارين.^(١٩)

وكانت الدول الاستعمارية تجد في هذه الاضطرابات التي تحدث في هذه الجهات فرصة للتدخل في شئونها.

وبعد إن استقرت الأمور في مصر للخديوي إسماعيل - اتجهت الحكومة المصرية لبذل جهودها لإعادة سيطرتها على ميناءي سواكن ومصوع، ولتحقيق ذلك كتبت الخديوية المصرية خطاباً إلى معتمدها بالأسيتانة جاء فيه:^(٢٠)

"إنه بناء على طلب المرحوم محمد علي باشا سبق إلحاق ميناءي سواكن ومصوع بمديرية التاكة - إلا أنه في زمان المرحوم عباس باشا صدر أمر بإلحاقهما بإيالة جدة - لكن الصالح العام يستدعي ضرورة إعادتهما إلى الإدارة المصرية وإلحاقهما بمديرية التاكة".

وقد عدت مصر الأسباب التي ترى أنها توجب هذا الإجراء ومنها:

١- أن العربان التابعين لمديرية التاكة يفرون إلى سواكن ومصوع هرباً من دفع ماعليهم من الأموال الأميرية، كما أن العربان التابعين للميناءين المذكورين يفرون إلى الجهات الخالية بين المينائين وبين أراضى التاكة عندما يُطلب منهم دفع ماعليهم من أموال أميرية، فجميع هؤلاء لايسدون ماهو مطلوب منهم، فتخسر بذلك الخزانة مبالغ طائلة.

٢- وجود هؤلاء الفارين فى تلك الجهات يُغذى فيهم روح الفساد ويشجعهم على إقتراف المفاسد.

٣- تتخذ حكومة الحبشة من أولئك العربان أداة للإفساد والتحرش بالمصريين.

٤- خضوع تلك البلاد لإدارة واحدة وإشراف المأمورين المصريين عليهم يجعلهم تحت مراقبة تامة مما يدعو لاستتباب الأمن.

٥- العمل على رقي هذه البلاد وسكانها وتعميرها.

٦- وضع حد لتجارة الرقيق يستلزم وضع المينائين تحت الإدارة المصرية.

وقد وعد خديوى مصر بأن يدفع لخزينة جده سنوياً ماكان الميناءان يدفعانه هما وملحقتهما لهذه الخزينة.

ونلاحظ هنا أن إسماعيل فى الوقت الذى يُعزز فيه طلبه بأن استقرار السلام وحصول الدولة على مستحققاتها من العربان يستلزم إخضاع المينائين للإدارة المصرية - فانه يُشير إلى ضرورة هذا الإجراء لمحاربة تجارة الرقيق وهو الأمر الذى يهتم الدول الأوربية بالذات.

وكا طبيعياً أن يسعى إسماعيل لتحقيق رغبته فى ضم المينائين بوسائله الخاصة التى برع فيها، فأصبحت من صفاته اللازمة له - وهى رشوة حاشية السلطان وكبار رجال دولته.

وكان على رأس الذين يهم إسماعيل أن يعاونوه في هذا السبيل الصدر الأعظم - لذلك بعث له إسماعيل بهدية مناسبة مع خطاب شكر على جهوده لتأييد طلب مصر لضم المينائين إليها - ذلك الطلب الذي تقرر عرضه على مجلس وزراء الدولة العثمانية، وفي خطابه رجاء إسماعيل أن يداوم بذل جهوده حتى تنتهي المسألة كما تُريد مصر.

ولما كانت الدولة العثمانية قد أرسلت لإيالة جدة تطلب رأيها في هذا الشأن حيث إن الأمر يخصها - فقد أرسل الخديوى على جودة بك - المندوب المصري بجدة ليوضح الأمر لوالى جدة، ولكل من شريف مكة ووالى المدينة، ويؤكد على حقيقة أن ضم المينائين للإدارة المصرية لن يترتب عليه إضرار بدخل ميناء جدة.^(٢٢)

وقد عاود الخديوي الكتابة للباب العالى ليؤكد أن بقاء ميناءى مصوع وسواكن بعيدين عن الإدارة المصرية - تسبب عنه تدخل الأجانب فى شئونهما، وضرب الأمثلة لتوضيح الوسائل التي يتبعها هؤلاء الأجانب للتدخل فى شئون هذه الجهات كتدخلهم لإخلاء سبيل المحبوسين، كذلك نشاط البعثات الدينية الأجنبية فى هذه الجهات، ذلك النشاط الذي لا يقتصر على الناحية الدينية فحسب - بل تعداها إلى تدخل رجال الدين الأجانب فيما هو من شئون الحكومة والإدارة، وذكر أن كل هذه الأشياء يمكن القضاء عليها لو أُحيل الميناءان إلى الإدارة المصرية.

الفرمانات السلطانية بإحالة سواكن ومصوع للإدارة المصرية:

نُوقش طلب مصر بإحالة ميناءى سواكن ومصوع للإدارة المصرية فى مجلس وزراء السلطنة العثمانية - وقد اقترح المجلس الموافقة على الإحالة - على أن تكون لمدة ثلاثة سنوات - انتظاراً لما تُسفر عنه نتائج مد السكة الحديدية بمعرفة الشركة العزيرية للخرطوم، ومنها إلى سواكن ومصوع بالنسبة لجمرك جدة.

ولم يرقُ لإسماعيل هذا التحديد فأرسل إلى معتمده بالأسيتانة فى ٢٨ ذى القعدة سنة ١٢٨١هـ خطاباً مفصلاً يفند فيه تلك المزاعم ويطلب شرح الموضوع

لذوى الشأن بالأسيثانه على حقيقته. (٢٤)

وفى أواسط شهر ذى الحجة ١٢٨١ (مايو ١٨٦٥) - أصدر السلطان عبدالعزيز ابن محمود الثانى فرماناً بإحالة ميناءى سواكن ومصوع إلى الإدارة المصرية على أن يؤدى إيرادهما إلى خزينة جدة - كما كان متبعاً فى عهد محمد علي باشا، فيورد ٢٥٠٠ كيس سنوياً للخزينة المذكورة، بالإضافة إلى ٥,٠٠٠ كيس هى إيراد الجمرك والملاحات - حسب إيرادها فى سنة ١٢٨٠ هـ. (٢٥)

وقد اشترط فى هذا فرمان أن تكون الإحالة مدة حكم الخديوى الحالي فقط ولا تتعداه إلى ورثته أى أنها تكون مقصورة على ذاته.

كما اشترط أنه إذا ظهر فى المستقبل عجز فى إيراد الحجاز وزيادة ملحوظة فى إيرادات الجهات المذكورة، فجبراً للنقص يجرى التعديل والعلاوة مرة كل ثلاث سنوات، كما نوه فى فرمان على أن تُبذل السلطات المصرية الجهد لمنع تجارة الرقيق، وكان هذا كما أشرنا من قبل - من الأسباب القوية التى اعتمدت عليها مصر فى طلب إحالة المينائين إليها للضرب على أيدي تجار الرقيق الذين يتخذون من هذه الموانى منافذ لترحيل بضاعتهم المحرمة.

هذا وقد أوفى الخديوى إسماعيل بوعدده للصدر الأعظم وغيره من كبار رجال الأسيثانه الذين أسهموا فى تذليل العقبات التى اعترضت الطريق أثناء محاولة ضم المينائين المذكورين إلى مصر.

ففى ٦ ربيع الأول سنة ١٢٨٢ هـ أصدر أمراً بالإنعام على كامل بك القبوكتخدا بثلاث آلاف جنيه عثمانى، كما أرسل فى ١٣ ربيع الآخر سنة ١٢٨٢ هـ إلى كامل بك يفيد به بأنه أرسل إلى الصراف (كبورق بك) لصرف المبلغ الذى كان قد وُعد به فخامة فؤاد بك وقدرة ثلاثة آلاف كيس، وكذلك ما وعد به دولة عالي باشا وقدرة ألفا كيس، وقد أبدى الخديوى امتنانه وسروره لقبول فخامة فؤاد باشا ودولة عالي باشا للمبلغين وعد ذلك مظهراً من مظاهر الصداقة والمحبة المتبادلة.

ومنذ صدور فرمان مايو ١٨٦٥ وإسماعيل يفكر في الوسيلة التي يُمكن بها تعديل فرمان للتخلص من القيود التي جاءت في فرمان - وجاءت الفرصة المناسبة في فرمان تغيير الوراثة الصادر في ٢٠ محرم ١٢٨٣ هـ (٢٧ مايو ١٨٦٦ م) فقد نجح إسماعيل في أن يجعل الإحالة وراثية فنص فيه على "إن تنقل ولاية مصر من الآن فصاعداً مع ما هو تابع إليها من الأراضي وكامل ملحقاتها وقائمقامبتي سواكن ومصوع إلى أكبر أولاد الوالي المذكور بطريق التوارث وبالصورة نفسها إلى أكبر أولاد ذريته - فإذا خلا منصب الولاية من وال ولم يترك الوالي المتوفي ولداً ذكرًا ينتقل الإرث إلى أكبر إخوته - فإن لم يكن له أخوة فإلى أكبر أولاد أخيه الأكبر الذكور". (٢٦)

وهكذا أصبحت إحالة هذين المينائين إلى الإدارة المصرية غير مقصورة على وإلى بالذات.

وبعد صدور فرمان السلطاني بضم المينائين (سواكن ومصوع) وتوابعهما إلى الإدارة المصرية - أرسل خديوي مصر في ٢٤ محرم ١٢٨٢ هـ خطاباً لكل من والي جده وشريف مكة بمضمون فرمان ويرجاء تسليم المينائين إلى (جعفر باشا مظهر) وكيل حكمدار الأقاليم السودانية.

وفي نفس الوقت أرسلت مكاتبة إلى جعفر مظهر ليأخذ الخطاب المشار إليه ليسلمه بنفسه لوالي جده، ويذهب لإتمام عملية التسليم.

هذا على أن تسلم الإدارة المصرية لسواكن تم مباشرة بعد صدور فرمان السلطاني، أما تسلم ميناء مصوع فقد تأخر مدة بسبب ثورة الجند في التاكه، فبعد القضاء على تلك الثورة أمكن اتخاذ الإجراءات لتسليم مصوع.

فقد كتب الخديوي في ١١ شوال سنة ١٢٨٢ هـ إلى قائم مقام مصوع خطاباً جاء فيه "إنه لا بد أن يكون دولة الباشا والي جده قد أخبره بأمر إحالة إدارة ميناء سواكن ومصوع إلى الإدارة المصرية - وقد تم فعلاً تسلم سواكن من مدة وأخذ المأمورون

المعينون من قبل الحكومة المصرية في إدارتها - إلا أن تسلم مصوع كان قد توقف لموانع قد زالت الآن - ولذلك فقد عين (حسن بك رفعت) محافظاً لها وأرسل معه كتاباً بهذا المضمون، فإذا وصلها يتم تسليم إدارة مصوع حسب الشروط المقررة. (٢٧)

النتائج التي ترتبت على المتغيرات التي طرأت على وضع الولاية

أشرنا من قبل إلى أن الهدف الأساسي من إنشاء (ولاية الحبش العثمانية) التي تجمع إدارة جدة وسواكن ومصوع - هو أن تكون بمثابة الرقيب على الحركة في البحر الأحمر - فقد شعرت الدولة العثمانية بأهمية هذا البحر الإستراتيجية وأهمية الموانئ الواقعة على شاطئيه الآسيوي والأفريقي، كما أن الأحداث أثبتت أهمية مراقبة الحبشة بالذات بعد أن اتجهت القوى الإستعمارية في أوروبا للاتفاق معها (مع الحبشة) لتطبيق القوى الإسلامية بالإضافة إلى توجيه ضربة للممالك الإسلامية في السهول المحيطة بالحبشة (ممالك الطراز الإسلامي).

وإذا كان البرتغال قد بدأوا هذه المحاولات الاستعمارية - فإن الدول الاستعمارية الكبرى التي حلت فيما بعد في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر محل البرتغال (انجلترا، وفرنسا، وإيطاليا) بدأت هي الأخرى تتجه لتدعيم نفوذها في البحر الأحمر الذي دبت فيه الحياة بقوة من جديد كشریان ملاحي مهم.

وكان هذا في مقدمة الأسباب التي دعت مصر لتطالب بوضع ميناء سواكن ومصوع تحت نفوذها خاصة بعد أن ظهر بوضوح أن الدولة العثمانية أصبحت غير قادرة على مساندة ولايتها (ولاية الحبش العثمانية) لتتمكن من أداء مهمتها في وجه هذه التيارات الاستعمارية العاتية.

وأشير إلى أن مصر رغم أن نفوذها السياسي والإداري امتد إلى سواكن ومصوع فحسب - فإن صلاتها بجده ظلت مستمرة.

وكانت مصوع وسواكن في الفترة التي ظلنا فيها تحت الإدارة المصرية والتي امتدت من ١٨٦٥ إلى ١٨٨٤ - العيون المتبقية التي تحمي هذا الطريق المائي الهام.

وقد ترتب على ضم سواكن ومصوع للإدارة المصرية أن شُكلت حُكمادارية جديدة ضمت التاكه ومصوع وسواكن، وعُيّن جعفر باشا صادق حُكماداراً لها وطلب منه أن يعاين هذه الجهات ويكتب تقريراً مفصلاً عن أوضاعها الحالية وأن يدرك أهمية هذه الجهات بحكم موقعها المهم على البحر الأحمر ولقربها من بلاد الحبشة^(٢٨).

لكن لم يمض أكثر من خمسة عشر يوماً على هذا الأمر حتى عدل عن هذا النظام الإداري - وتقرر تعيين (ممتاز أفندي) محافظاً لسواكن، و(حسن أفندي رفعت)، محافظاً لمصوع على أن يكون جعفر باشا صادق حُكماداراً لعموم السودان وتتبعه المحافظتان.^(٢٩)

وفي ربيع الأول ١٢٨٧هـ ضُمت محافظات مصوع، وسواكن، وبربرة ومديرية التاكه وباقي الأقاليم السودانية المطلة على البحر الأحمر وشُكلت منها جميعاً ما عرف (بمحافضة سواحل البحر الأحمر) وعُيّن ممتاز باشا مديراً لعموم شرقي السودان ومحافظاً لسواحل البحر الأحمر.^(٣٠)

وقام ممتاز باشا برحلة طويلة زار فيها كل بلاد ساحل البحر الأحمر وقدم تقريراً وافياً عنها وعن سكانها.

والحقيقة إن تقرير ممتاز باشا يكتسب أهمية خاصة لأنه يُعطي صورة كاملة مفصلة عن وضع مصوع وسواكن وسكانهما وأهميتهما وأوجه النقص التي يجب تلafiها.^(٣١)

وما أشار إليه ممتاز باشا في تقريره عن مصوع أنها تقع على درجة عرض الخرطوم وأن سكانها يبلغون ٣,٠٠٠ نفس، وشرق مصوع (طابية) لعلها أفضل طوابي الساحل الغربي للبحر الأحمر، وقرب مصوع جزر (دهلك).

وتحدث عن سواكن وذكر إنها قريبة من (طوكر) وقدر عدد سكانها هي والجهات المجاورة لها بـ ١٠٠,٠٠٠ نفس.

وقد أرفق ممتاز باشا بتقريره خريطة من عمل أركان حرب الجيش المصرى يوضح عليها مواقع المناطق المهمة.

وفى ٢٨ من ذي الحجة ١٢٨٩هـ صدر أمر بتعيين منزجر بك مديراً لعموم شرق السودان ومحافظة لسواحل البحر الأحمر.^(٣٢)

وحين ولي الخديوى توفيق على الحكم عين على رضا باشا محافظاً لسواحل البحر الأحمر من السويس حتى رأس حافون - وقد كتب على رضا باشا بعد زيارته لهذه المناطق تقريراً وافياً عنها.^(٣٣)

أهم الاصلاحات التي قامت بها الإدارة المصرية في تلك الجهات:

لاشك في أن مصر أدركت أهمية الموانئ الواقعة على البحر الأحمر لسلامة مصر وسلامة الحجاز ولدرء الأخطار التي قد تتعرض لها نتيجة الأطماع الاستعمارية بعد أن تفتحت أنظار الدول الإستعمارية منذ أوائل القرن السادس عشر للبحر الأحمر وأهميته الملاحية والإستراتيجية - ولذا كانت محاولات مصر المستميتة لضم هذه الموانئ إليها لتحل محل الدولة العثمانية في حمايتها، ولعل التقلبات العديدة والسريعة والتي لاحظناها فيما يختص بتغيير الحكام والموظفين في هذه الجهات بالإضافة إلى التغييرات السريعة في النظام الإداري فيها - ترجع أساساً إلى الشعور بأهمية هذه الجهات والخوف من أن النظام الموضوع لإدارتها لايفي بالواجب لحمايتها - لكن كانت لهذه التغييرات المستمرة والسريعة أضرارها - وقد أشار علي رضا باشا - حين عين محافظاً لسواحل البحر الأحمر من السويس حتى رأس حافون في تقريره - إلى أن كثرة تغيير المحافظين فى مصوع وسواكن أدى إلى عدم الاستمرار فى تنفيذ كثير من الإصلاحات التي كانت قد بدأت.^(٣٤)

ومع هذا فإن الإدارة المصرية قامت فى هذه الجهات بإصلاحات عديدة ومكلفة شملت جميع نواحي الحياة - وقد أشرنا من قبل إلى أن الواجب الأول لكل مدير أو حاكم جديد تمثل فى دراسة أحوال الجهات التى عهدت إليه وكتابة تقرير عنها وما تحتاجه من إصلاحات سريعة وملحة .

وأهم الإصلاحات التى قامت بها الإدارة المصرية: ^(٣٥)

١- المواصلات: الاهتمام بوسائل ربط هذه الجهات بعضها ببعض الآخر وبقى جهات السودان وبمصر - وترتب على هذا تنظيم مسائل البريد والتلغراف، بل ودراسة مشروع ربطها مع باقى جهات السودان بالسكك الحديدية وإن كان هذا الأمر لم يتم تنفيذه لأن مشروع وصل السودان بمصر بالسكة الحديدية - أوقف العمل به سنة ١٨٧٨م بسبب الارتباك المالى الذى أوقع إسماعيل مصر فيه .

٢- المباني: اهتمت الإدارة المصرية بأمر المباني الأميرية فى كل من مصوع وسواكن هذا بالإضافة إلى أن العمران شمل نواحي الثغرين بسبب توفير مواد البناء بهما، فبعد أن كانت البيوت وغيرها تُبنى بالقش - أصبحت تبنى بالأحجار. ^(٣٦)

وقد اهتمت الإدارة المصرية ببناء المرافق المهمة الرئيسية فى كل من الثغرين من مدارس ومساجد ومستشفى بكل منها ومطاحن للغلال، ومن أهم ماتم من أعمال عمرانية إصلاح المراسي وإعداد الموانئ لإستقبال السفن .

٣- إستغلال الموارد الطبيعية للبلاد: اهتمت الإدارة المصرية باستغلال موارد هذه الجهات الطبيعية فاهتمت بزراعة القطن وغيره بعد أن ثبت نجاح زراعته، كما اهتمت بالبحث عن المعادن ^(٣٧) - واستغلال الملاحات التى اشتهرت بها هذه الجهات حتى أنه مدت قضبان حديدية من الملاحات للساحل ورتبت مركبات لنقل الملح لمراكب الشحن. ^(٣٨)

٤- المياه العذبة: من أروع الأعمال التى قامت بها الإدارة المصرية مد أنابيب المياه من العيون البعيدة عن مصوع وسواكن وتوصيلها لأماكن استقرار الأهالي وقد

ترتب على هذا استقرار الأهالي بعد أن كانوا يرحلون عن المينائين في أغلب فترات العام^(٢٩).

هذا ونشير إلى أن الأمن استتب في هذه الجهات واستقرت حياة الناس وأخذ النشاط يسدب فيها في ظل الإدارة المصرية.

ثالثاً: اتجاه أنظار الدول الاستعمارية لهذه المناطق المهمة:

أشرنا من قبل إلى أن أنظار الدول الأجنبية كانت قد اتجهت منذ زمن بعيد إلى هذه الجهات المهمة المطلة على البحر الأحمر سواء على شاطئه الآسيوي أو الأفريقي - وكان هذا في مقدمة الأسباب التي دعت مصر - خاصة في عهد إسماعيل - لتطلب إحالة إدارتها إليها.

وكانت مصر في فترة قوتها قادرة على أن تدرك عن هذه الجهات خطر الأطماع الأجنبية فيها.

لكن ماوصلت إليه هذه الجهات من تقدم في ظل الإدارة المصرية بالإضافة إلى التطور المهم والسريع في وسائل المواصلات البحرية والصراع الدولي، بين الدول الاستعمارية الكبرى الذي وصل إلى ذروته في النصف الثاني من القرن التاسع عشر - خاصة بعد مؤتمر برلين ١٨٨٤ - ١٨٨٥، ووضع مصر الاقتصادى والسياسى نتيجة سياسة الخديوي إسماعيل وخلفائه - أدى كل هذا إلى تطلع الدول الإستعمارية وتسابقها لتحقيق أحلامها في هذه الجهات.

رابعاً: سقوط هذه الموانئ المهمة في أيدي الأجانب:

كانت إنجلترا بالذات في مقدمة الدول الاستعمارية الطامعة في هذه المناطق - فإنجلترا بالذات في مقدمة الدول الاستعمارية التي أدركت أهمية البحر الأحمر لارتباط ذلك بالبحر المتوسط والمحيط الهندي والنفوذ البريطاني في الهند.

وبالطبع ليس هذا مجال تتبع الدور الذي لعبته إنجلترا في البحرين الأحمر والمتوسط السابقة لموضوع حديثنا.^(٤١)

ونلاحظ أن السياسة البريطانية لعبت دوراً ملتويّاً لتحقيق أهدافها في مصر وفى المناطق التى كانت تحت سلطانها والمطلة على البحر الأحمر، فهى تارة تُجبر مصر على إخلاء أقاليم مطمئنة هادئة من ممتلكاتها بحجة الإرهاق المادي الذي تسببه إدارة مصر لهذه الأقاليم للخزانة المصرية المرهقة، وذلك بالطبع ليتيسر لها وضع يدها على هذه الأقاليم، وتارة أخرى تذرّع باسم حق مصر الشرعي في ممتلكاتها لتُقصي دولة إستعمارية منافسة أخرى، ومرة ثالثة تسلم أملاك مصر لدولة حليفة لها أو قليلة الخطر حتى تتحين الفرص المؤاتية لتضع يدها هى على الفريسة.

وهكذا لم يأت عام ١٨٨٤م حتى كانت الدول الاستعمارية قد اقتسمت أملاك مصر المهمة الواقعة على البحر الأحمر، وكان نصيب إنجلترا وحليفها إيطاليا فى ذلك الوقت نصيب الأسد من أملاك هذه الفريسة المغلوبة على أمرها.

فوضع الإيطاليون فى عام ١٨٨٢ أيديهم على (مصوع) واحتلوا بيلول، وبسطوا سلطانهم على المنطقة كلها الممتدة من رأس نصار جنوب سواكن إلى أوبوك - وفى مارس ١٨٩٠ صدر مرسوم إيطالى ينظم أمر هذه الممتلكات الإيطالية على البحر الأحمر التي سُميت فى المرسوم باسم إرتريا.^(٤٢)

على أن هذا الإجراء العجيب أسال لعاب الإيطاليين فقتلعوا إلى مد نفوذهم إلى الحبشة ذاتها - الدولة التى لعبت دوراً مهماً في بداية هذا الصراع - لكن دورها في المرة الأولى كان لحساب القوى الإستعمارية لمواجهة القوى الإسلامية وتطويقها.

كما أن إنجلترا كان لها نصيب كبير فى ثغور ساحل البحر الأحمر الأفريقي، فاستولت على بربرة وبلهار وزيلع وهى الجهات المقابلة لميناء عدن على الساحل الآسيوى، كما أن فرنسا احتلت (أوبوك) وتوسعت منها فى الداخل فاستولت على تاجوره وجيبوتى وكونت منها مستعمرتها التي عُرفت بالصومال الفرنسي.

خامساً: ارتباط هذا النشاط الملاحي في البحر الأحمر بالاهتمام بجزره:

برزت أهمية جزر البحر الأحمر خاصة الواقعة في مدخله الجنوبي ومنطقة الشمال أثناء هذا الصراع.

والحقيقة أن الجزر الواقعة في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر مثل جزيرة بريم، والواقعة في مدخله الشمالي مثل صنافير وتيران التي تقع في مدخل خليج العقبة لعبت دوراً مهماً في هذا الصراع بين القوى العربية سواء في الجزيرة العربية أو في مصر وبين القوى الإستعمارية، هذا بالإضافة إلى جزر دهلك و فاطمة وحالب الواقعة قبالة الساحل الحبشي (الأثيوبي) بعد أن دخلت الحبشة عضواً في هذا الصراع.

ويضيق المجال لإبراز أهمية هذه الجزر - لكن نُشير إليها لأنها ستكتسب في الحقيقة أهمية خاصة حين اتخذ الصراع بين العرب والدول الاستعمارية صوراً أخرى لعل أبرزها أثناء الصراع العربي الإسرائيلي في وقتنا هذا. ^(٤٣)

هوامش البحث

- ١ - Crichton, A.: History of Arabia, Ancient and Modern vol. 1 (1975 p. 74).
- ٢ - عبدالغنى عبدالرحمن محمد: البحر الأحمر والأطماع الدولية (القاهرة ١٩٣٨) ص ٤٠ وما بعدها.
- ٣ - للمزيد من التفاصيل عن هذه الممالك الإسلامية بالسهول المحيطة بالحبشة يرجع إلى: - القلقشندى، أبو العباس أحمد: صبح الأعشى في صناعة الإنشا (القاهرة ١٩١٥) ج ٥ ص ص ٣٢٥ - ٣٣١.
- المقریزی، الإمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام (نشر د. رنك) القاهرة (١٨٩٥).
- شهاب الدين بن أحمد عبدالقادر (عرب فقيه): فتوح الحبشة نشره رينيه باسيه (مارس ١٨٩٧).

- ٤ - Duffy, James: Portuguese Africa (London 1959) p. 28.
- ٥ - ابن إياس: بدائع الزهور فى وقائع الدهور ج ٤ ص ٨٩ ومابعدھا.
- ٦ - لمزيد من التفاصيل يرجع إلى:
- أحمد فؤاد متولى (دكتور): الفتح العثماني الأول للشام ومصر (١٩٧٦).
- ٧ - عن فتح العثمانيين لليمن يرجع إلى:
- سيد مصطفى سالم (دكتور): الفتح العثماني الأول لليمن (د.ت).
- ٨ - عبد الملك عودة (دكتور): السياسة والحكم فى أفريقيا (القاهرة ١٩٥٩).
- ٩ - عن العلاقة بين الكنيستين المصرية والحبشية يرجع إلى:
- شوقى الجمل: تطور العلاقة بين الكنيستين المصرية والإثيوبية وانعكاسها على العلاقة السياسية بين الدولتين (الندوة الدولية للقرن الأفريقى - معهد البحوث والدراسات الأفريقية ١٩٨٧) ج ٢ ص ٦٦٧ - ٦٦٩.
- ١٠ - للدراسة التفصيلية لحياة البطل الصومالى أحمد جرائ، وكفاحه ضد الأحباش وحلفائهم البرتغال حتى استشهاده فى عام (٩٥٠هـ / ١٥٤٣م) يرجع إلى:
- عرب فقيه، شهاب الدين أحمد عبد القادر بن عثمان: المرجع السابق.
- ١١ - شوقى الجمل: الوثائق التاريخية لسياسة مصر فى البحر الأحمر (هامش ص ٣٠).
- وكذلك محمد أنيس (دكتور): الدولة العثمانية والشرق العربى ١٥٩٤ - ١٩١٤ (د.ت) ص ١٣٢.
- ١٢ - قطب الدين النهروانى: البرق اليماني فى الفتح العثماني ص ١١٩ ومابعدھا.
- وكذلك بوركهارت، جون لويس بوركهارت: رحلات بوركهارت فى بلاد النوبة والسودان، ترجمة فؤاد اندوراس (نشرته الجمعية التاريخية المصرية ١٩٥٩م).
- وبوركهارت (H. John Lewis Burckhardt) رحلة سويسرى رحل إلى إنجلترا فى عام ١٨٠٦، وغادر إنجلترا فى عام ١٨٠٩ موفداً من الجمعية الأفريقية البريطانية وقضى فترة فى سوريا حيث تعلم اللغة العربية واتقنها، وغادر حلب إلى مصر فى عام ١٨١٢ وسافر من القاهرة إلى صعيد مصر متخفياً فى زى تاجر مسلم، ووصل إلى بلاد النوبة وزار سواكن ومصوع وعبر البحر الأحمر إلى ساحل بلاد العرب حيث كان فى جدة عام ١٨١٤، وزار مكة والمدينة وعاد للقاهرة وظل بمصر حتى وفاته فى أول أكتوبر ١٨١٧.
- ١٣ - لمزيد من التفاصيل يرجع إلى: شوقى الجمل: تاريخ سودان وادي النيل وعلاقاته بمصر ج ٢ (١٩٦٤) ص ١٧ ومابعدھا.
- ١٤ - انظر: رحلات بوركهارت فى بلاد النوبة والسودان، ص ٣٦٧ ومابعدھا.
- ١٥ - منذ أوائل القرن السابع عشر تأسست عدة شركات للعمل بنشاط فى الطريق الملاحي بين الهند وأوروبا منها:
- أ - شركة الهند الشرقية البريطانية (١٦٠٠ - ١٨٥٨).

ب - شركة الهند الشرقية الهولندية (١٦٠٢ - ١٧٩٨).

ج - شركة الهند الشرقية الفرنسية (١٦٦٤ - ١٧٨٩).

١٦ - Douin: Hisotire De. Regne Du khedive Ismqil III, 2eme Partie (Le Caire 1935)mP. 176.

١٧ - دفتر رقم ١٠٢٠ وارد نظارة المالية وثيقة رقم ١١٣٨ في ٢٠ رجب ١٢٦٥ هـ (دار الوثائق المصرية).

Douin,: Op. Cit. P. 242. - ١٨

١٩ - محفظة ١٩ بحرب وثيقة رقم ٩٩ في ١٥ ربيع الأول ٢٦٥ هـ.
ملاحظة:

ذكرت التواريخ الهجرية كما هي واردة في الوثائق الأصلية - ولمن يريد المقابل الميلادي يرجع إلى كتاب التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الأفريقية والقبطية (مطبعة بولاق ١٣١١ هـ).

٢٠ - دفتر ثمة ٢١ عابدين ص ٢٢٨ وثيقة رقم ٥٩ في ٢١ رجب ١٢٨١ هـ (دار الوثائق المصرية).
كذلك شوقي الجمل: الوثائق التاريخية لسياسة مصر في البحر الأحمر (١٨٦٣ - ١٨٧٩) ص ٢٩.

٢١ - سجل ٣١ عابدين ص ٢٣٨ رقم ٥١ في ١٧ رمضان ١٢٨١ هـ (دار الوثائق المصرية).

٢٢ - دفتر ٢١ عابدين تركي ص ٢٧٤ في ٧ من ذي القعدة ١٢٨١ هـ (دار الوثائق المصرية).

٢٣ - دفتر ٢١ عابدين تركي مكتبة رقم ٩٦ ص ٢٧ ذي القعدة ١٢٨١ هـ.

٢٤ - دفتر رقم ٢١ عابدين تركي - المكتبة التركية رقم ١٠٢ في ٢٨ من ذي القعدة ١٢٨١ هـ.

٢٥ - مجموعة فرمانات الشاهانية - فرمان رقم ٩٣ في ١٥ من ذي الحجة ١٢٨١ هـ.

٢٦ - دفتر ٢٢ عابدين تركي - مكتبة ص ٦ في ٢٤ محرم ١٢٨٢ هـ (دار الوثائق المصرية).

٢٧ - دفتر ثمة ٢٣ عابدين وثيقة تركية ص ١٠٦ في ٢١ شوال ١٢٨٢ هـ (دار الوثائق المصرية).

٢٨ - دفتر ٥٣٧ معية تركي ص ٥٦ في ٩ محرم ١٢٨٢ هـ.

٢٩ - دفتر رقم ٥٣٧ معية تركي مكتبة رقم ١٢٩ في ٢٤ محرم ١٢٨٢ هـ.

٣٠ - دفتر ١١ عابدين وارد تلغرافات، تلغراف رقم ١٢٨٤ في ٢٣ ربيع ١٢٨٧ هـ.

٣١ - تقرير ممتاز باشا انظر:

شوقي الجمل: الوثائق التاريخية لسياسة مصر في البحر الأحمر (نشرته الجمعية التاريخية المصرية ١٩٥٣) مرجع سابق ص ص ١١١ - ١١٦.

٣٢ - دفتر رقم ١٩٤٣ أوامر عربي ص ٩٣ في ٢٨ من ذي الحجة ١٢٨٩ هـ.

٣٣ - تقرير علي رضا باشا منشور في:

شوقي الجمل: الوثائق التاريخية: مرجع سابق ص ص ٥٧ - ١٧٢.

٣٤ - سبقت الإشارة إلى تقرير علي رضا باشا.

٣٥ - لمن يريد تفاصيل هذه الإصلاحات يرجع إلى:

شوقي الجمل : سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (١٩٧٤) ص ٨١ وما بعدها .

٣٦- دفتر ١١ عابدين تلغرافات رقم ٣٨٠ في ١٦ من ذي القعدة ١٢٨٢هـ .

٣٧- دفتر ٥٧٣ معية تركي وثيقة ١٧ في ١٢ شوال سنة ١٢٨٥ .

٣٨- دفتر رقم ٩٣٥ أمر إلى محافظة سواحل البحر الأحمر غرة ١٣ في ٢٩ محرم ١٢٨٨هـ .

٣٩- عن توفير الأنابيب اللازمة لنقل المياه وتنفيذ عملية تدبير الماء اللازم لمصوع وسواكن يرجع إلى :

دفتر ١٨٥٢ معية عربي ص ٦٤ رقم ١٢ في ٧ من ذي القعدة ١٢٨٨هـ .

٤٠- عن مؤتمر برلين وأثره على الصراع الاستعماري بين الدول الاستعمارية الكبرى يرجع إلى :

شوقي الجمل - تاريخ كشف أفريقيا وإستعمارها (١٩٨٠) ص ٣١١ .

٤١- استولت إنجلترا على جبل طارق ١١١٦هـ / ١٧٠٤م وعلى عدن ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م

واحتلت مصر ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م وبذلك تحكمت في الملاحة في البحرين المتوسط والأحمر .

٤٢- الوثائق المتعلقة بهذا الاستعمار الإيطالي يرجع فيها إلى :

شوقي الجمل : الوثائق التاريخية مرجع سابق ص ص ١٨٦ - ١٨٧ .

٤٣- عن جزر البحر الأحمر وتاريخها عبر العصور المختلفة هناك بحث كامل أشرفت عليه الإدارة الثقافية بالجامعة العربية .

كذلك يرجع إلى : البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة (سمنار الدراسات

العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس ، وقد نشرت الأبحاث في مجلد كامل بإشراف

الأستاذ الدكتور أحمد عزت عبدالكريم عام ١٩٨٠) .